آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية

تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة السابعة : العددان السابع والعشرون والثامن والعشرون - رمضان ١٤٢٠ هـ - كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٠ م

■ مصحف شريف كتب في القرن التاسع

A COPY OF THE HOLY QURAN

written in the 9th century A. H.

أدوية الزينة في قانون ابن سينا

Cosmetics in Ibn - Sina Book (The Qanun)

الدكتور/ عبد الناصر كعدان

معهد التراث العلمي العربي

حلب – سوريا

نعيش اليوم صحوة عالمية باتجاه استخدام العناصر الفعالة الموجودة في النباتات أو الأعشاب الطبية ؛ لمعالجة العديد من الأمراض المستعصية منها على العلاجات الكيماوية الحديثة. وتراثنا الطبي الإسلامي زاخر بتلك العلاجات ، ويشكّل هذا البحث محاولةً لسرد بعض أدوية الزينة ، كما ذكرها ابن سينا في كتابه الشهير (القانون في الطب) ؛ فقد خصّص ابن سينا في هذا الكتاب أربع مقالاتٍ للحديث عن الزينة وأدويتها ؛ المقالة الأولى تشمل أحوال الشعر والحزاز ، وتناول في المقالة الثانية أحوال الجلد من جهة اللون ، أما في المقالة الثالثة ، فتعرض لأمراض الجلد المختلفة وعلاجاتها ، وفي المقالة الرابعة تناول أدوية الزينة المستخدمة في سائر البدن والأطراف.

مقدمة

ابن سينا هو أبو علي الحسين بن عبدالله، الملقب بالشيخ الرئيس. ولد سنة ٣٧٠هـ = ٩٨٠م في قرية أفشنة قرب بخارى في تركستان، أو ما يعرف حاليًا بجمهورية أوزبكستان. وقد حفظ القرآن عندما بلغ من العمر عشر سنين. وعندما بلغ من العمر واحدًا وعشرين عامًا غادر بخارى؛ ليقضي باقي عمره متنقلاً بين المدن الفارسية المختلفة. ولما توفي سنة ٤٢٨هـ = ١٠٣٧م كان يعدّ وقتئذٍ أحد عباقرة الفلسفة في الإسلام، ووضع في مصاف جالينوس في الطب، حيث أطلق عليه لقب جالينوس الإسلام. وبسبب شهرته الواسعة تسابقت شعوب عدة للاحتفال بذكراه، والأتراك هم أول من احتفلوا بها، عندما أقاموا عام ١٩٣٧ مهرجانًا ضخمًا بمناسبة مرور تسعمائة سنة على وفاته. ثم حذا حذوهم العرب والفرس، حيث أقيم مهرجانان للاحتفال به في كلٍّ من بغداد عام ١٩٥٢، وطهران عام ١٩٥٤. وفي عام ١٩٧٨ دعت منظمة اليونسكو كل أعضائها للمشاركة في الاحتفال بمناسبة مرور ألف عام على ولادة ابن سينا، وذلك اعترافًا بمساهماته في مجال الفلسفة والطب. وبالفعل استجاب كل أعضاء المنظمة، وشاركوا في الاحتفال الذي أقيم عام ١٩٨٠.

ألّف ابن سينا ٢٧٦ مؤلف، كلها كتبت بالعربية، باستثناء بضع مؤلفاتٍ صغيرة كتبها بلغته الأم الفارسية. إلاّ أن أكثر هذه المؤلفات قد فقد ولم يصل

إلينا. ويوجد حاليًّا ٦٨ مؤلفًا تحفظ في مكتبات الشرق والغرب.

كتب ابن سينا في كل فروع العلوم التي كانت منتشرة في ذلك الوقت، إلاّ أنه أكثر ما اهتم به الفلسفة والطب. ويعده بعض المؤرخين المعاصرين فيلسوفًا أكثر منه طبيبًا، إلاّ أن آخرين يعدونه أمير الأطباء في القرون الوسطى. وقد صنف بعضهم مؤلفاته وفق ما تحويه فكانت كالآتي:

٤٣ مؤلفًا في الطب، ٢٤ مؤلفًا في الفلسفة، ٢٦ مؤلفًا في الطبيعيات، ٣١ مؤلفًا في علوم الدين، ٢٣ مؤلفًا في علم النفس، ١٥ مؤلفًا في الرياضيات، ٢٢ مؤلفًا في المنطق، ٥ مؤلفات في علوم تفسير القرآن. إضافة إلى عدة رسائل في الزهد والعشق والموسيقا وبعض القصص.

كتاب القانون في الطب

يعدّ كتاب (القانون) أكثر مؤلفات ابن سينا أهمية في الطب، وقد كتبه بالعربية، ووصفه أحد الأطباء الغربيين وهو William Osler بأنه أشهر كتابٍ طبيّ على الإطلاق. ويعدّ هذا الكتاب فريدًا من نوعه؛ إذ يمثل وثيقة تحوي كل علوم الطب منذ أقدم الأزمنة (كالطب الفرعوني والإغريقي والهندي) حتى عصر ابن سينا. وتميّز هذا الكتاب بعرضه موضوعات الطب وفق خطة منهجية قريبة جدًّا لما تتبعه الكتب الطبية المدرسية الحديثة، وبخاصة فيما يتعلق بطريقة سرد الأمراض من حيث التعرض لتصنيفها، ثم ذكر أسبابها وأعراضها، وعلاماتها وسرايتها، ثم ذِكْر علاجها وإنذارها. ويمكننا القول إن حسن ترتيب كتاب القانون، إضافة إلى شموليته، جعلاه الأكثر انتشارًا في الأوساط العلمية الطبية في كلٍّ من الشرق والغرب حتى أواخر القرن السابع عشر.

لقد عرف الغرب كتاب (القانون) من خلال الترجمة اللاتينية له، التي قام بها جيرارد الكريموني، وذلك في القرن الخامس عشر. وترجم أيضًا إلى اللغة العبرية، وطبع عدة مرات، آخرها كان في بداية القرن التاسع عشر. بقي كتاب (القانون) معوّلاً عليه في دراسة الطب، في جامعة لوفيان ومومبلييه خاصة، وذلك حتى أواخر القرن السابع عشر. وقد ورد في المجلة التي تصدرها اليونسكو، في عدد تشرين الأول من عام ١٩٨٠، أن كتاب القانون ظلّ المعوّل عليه في جامعة بروسل حتى عام ١٩٠٩.

قام كثيرٌ من الأطباء المسلمين بوضع شروحاتٍ لكتاب القانون، وبعضهم قام باختصاره. وأشهر تلك الاختصارات كتاب (الموجز في الطب)، الذي كتبه ابن النفيس الدمشقي المتوفى عام ٦٨٧هـ.

ابتدأ ابن سينا كتابه (القانون) بتعريفه للطب قائلاً: «الطب علم يتعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح ويزول عن الصحة؛ ليحفظ الصحة حاصلة، ويستردها زائلة».

يتألف كتاب (القانون) من خمسة كتب:

الكتاب الأول: يبحث في تعريف الطب، ويشرح أغراضه، كما يتكلم فيه عن الأمزجة والأخلاط، وتشريح الجسم، ووظائف الأعضاء. وقد ورد فيه ذكرٌ لبعض الأمراض وأسبابها وعلاجها.

الكتاب الثاني: خاصٌّ بعلم العقاقير، أو الأدوية المفردة، ويحتوي عددًا كبيرًا من النباتات الطبية، أكثرها فارسي المنشأ، وبعضها من أصلٍ يونانيّ أو هندي أو صيني أو عربي.

الكتاب الثالث: تكلم فيه عن الأمراض التي تصيب أعضاء الجسم المختلفة، وذكر أسبابها وأعراضها وعلاجها، وأحيانًا إنذارها.

الكتاب الرابع: تحدث فيه عن عدة موضوعات؛ كالكسور والخلوع، وبعض الحميات كالحصبة والجدري، وتحدث في القسم الأخير من هذا الجزء عن السموم ومضاداتها.

الكتاب الخامس: تحدث فيه عن الأدوية المركبة، أو ما كان يعرف بالأقراباذين. وقد ورد في هذا الجزء ذكرٌ لتحضير ما ينوف عن ثمانمائة دواء مركب.

خصص ابن سينا في الكتاب الرابع أربع مقالاتٍ للحديث عن الزينة وأدويتها. فالمقالة الأولى تشمل أحوال الشعر والحزاز، في حين تحدث في المقالة الثانية عن أحوال الجلد من جهة اللون، أما المقالة الثالثة فتتعرض لأمراض الجلد المختلفة وعلاجاتها. والمقالة الرابعة تتحدث عن أدوية الزينة المستخدمة في سائر البدن والأطراف.

ومن الجدير بالذكر أن بعض الأدوية والتراكيب المذكورة في مجال أدوية الزينة معروفة، ومن المفيد أن نصنفها في ثلاث زمر:

أولاً – أدوية ثابتة لا يزال بعضها يستعمل إلى الآن للغرض نفسه.

ثانيًا – أدوية عديمة التأثير وضارة ولا جدوى من تجربتها؛ لأن العلم يرفضها.

ثالثًا – أدوية تحتاج إلى دراسة وتمحيص؛ فقد يثبت العلم فائدتها، وهذا ما تقوم به بعض المراكز، مثل مركز الكويت للطب الإسلامي، ومؤسسة هامدرد في الباكستان.

المقالة الأولى في أحوال الشعر وفي الحزاز:

تتألف هذه المقالة من تسعٍ وعشرين فصلاً، تناول فيها ابن سينا الحديث عن أحوال الشعر كافة وعلاجاتها. وسأستعرض هنا أهم تلك الفصول، المتعلقة منها بالزينة خاصة.

فصلٌ في الأدوية الحافظة للشعر:

في الفصل السابق لهذا الفصل تحدث ابن سينا عن أسباب نقصان الشعر، أو ما نسميه حاليًّا بالصلع. وقد بيّن أن لذلك أسبابًا عديدة تختلف عند الصبيان عن تلك المشاهدة في الكهول، وقد بيّن أن اللثغ لا يصلعون لكثرة رطوبة أدمغتهم. أما بالنسبة للأدوية المفردة الحافظة للشعر، فيشير ابن سينا إلى أن الأدوية الحافظة للشعر هي التي فيها حرارة لطيفة جذابة وقوة قابضة. وقد ذكر من هذه الأدوية الآس وحبه، واللاذن(١)، والأملج(٢)، والهليلج(٣)، والمر والصبر، وذكر منها العفص أيضًا. أما بالنسبة للأدوية المركبة فذكر منها ما ينوف على عشرة مركبات، أذكر منها حب الآس، والعفص، والأملج، حيث تطبخ في دهن الورد أو دهن الآس. وكل هذه المركبات تستعمل دهنًا على الرأس.

فصلٌ في دواء يحفظ شعر الحواجب:

يشير ابن سينا هنا إلى استخدام دواءٍ مركب يحوي ورد شقائق النعمان والتين واللادن والبَرْشياوشان مخلوطة مع دهن المُصْطَكى(٤).

فصلٌ في مطولات الشعر:

يذكر ابن سينا من تلك الأدوية المستخدمة غسل الرأس بنقيع الحنظل، وفحم بزر الكتان أيضًا ممزوجًا بدهن الشيرج(٥).

فصل في منبتات الشعر القوية:

يبين ابن سينا أن الأدوية المذكورة في هذا الفصل تفيد في علاج الصلع أيضًا، كما تفيد في إنبات شعر الحواجب واللحية. بعد ذلك يتعرض لوصف أنواع كثيرة من الأدوية المركبة، أكثرها مشتق من بعض أعضاء الحيوانات، وتمزج مع بعض الدهون؛ لتستخدم كمراهم موضعية في الأماكن التي يراد فيها إنبات الشعر. وكمثال على ذلك المزيج ما ذكره في آخر هذا الفصل، حيث يؤخذ أصل القصب المحرق، ويمزج مع رماد الضفادع وبزر الجرجير(٦) مسحوقًا، بدهن الغار، ويستخدم هذا المركب بشكلٍ موضعي كمنبت قوي للشعر.

فصل فيما يحلق الشعر:

يشير ابن سينا هنا إلى أن استخدام جزأين من

النورة(٧)، مع جزأين من الزرنيخ، مع قليلٍ من الصبر؛ فإن لهذا المزيج تأثير حالق للشعر. كما يمكن استخدام العلق الأخضر لتحقيق هذه الغاية.

فصلٌ في مانعات نبات الشعر:

يبين ابن سينا أن المخدرات المبردة تمنع نبات الشعر، ويذكر مثالاً على ذلك أنه بعد نتف الشعر يطلى بالبنج(٨) والأفيون والخل والشوكران(٩). وقد ذكر أنه قد زعم بعضهم أن استخدام دم الضفادع ودم السلاحف النهرية، وكذلك دم الخفاش ودماغه وكبده مما يفيد في هذا المجال، وقد ركبوا دواء من هذا.

فصل في المجعدات للشعر:

يستخدم في هذا المجال دقيق الحلبة(١٠) ودهنها، والسدر(١١) الأبيض، والمرو(١٢)، والعفص(١٣)، والنورة، والمرداسنج(١٤)، تخلط، أو يقتصر على بعضها، ويغلف به الرأس.

فصل فيما يرقق الشعر:

إذا وقع البورق(١٥) في أدوية الشعر رققه.

فصلٌ في اللطوخات المانعة من الشيب:

في هذا الفصل يتحدث ابن سينا عن بعض الأدهان التي يمكن استخدامها من أجل منع الشيب. فهو يشير إلى أن جميع الأدهان الحارة المقوية تفيد في ذلك، مثل القطران(١٦) حيث يدهن على الرأس، ويترك مدة أربع ساعات. وكذلك يفيد دهن القسْط(١٧)، ودهن البان(١٨)، ودهن الشَوْنيز(١٩). ثم يبين أن زيت الزيتون إذا أديم التمريخ به كل يومٍ منع الشيب.

فصلٌ في المسودات:

يشير ابن سينا هنا إلى أن الحِنّاء(٢٠) والوَسْمة(٢١) هما الأكثر مما أجمع عليه الناس لاستخدامها كمسوداتٍ للشعر. ثم يبين أنه يختلف أثرهما بحسب اختلاف استعدادات الشعور. ثم يقول: إن الناس يتداوون بالحنّاء، ثم يردفونه بالوسمة بعد غسل الحناء، ويصبرون على كلٍّ واحدٍ منهما صبرًا له قدر، وكلما صبر أكثر كان أجود، ومن الناس من يجمع بينهما، ومن الناس من يقتصر على الحناء، ويرضى بتشقيره للشعر، ومنهم من يقتصر على الوسمة.

بعد ذلك يتحدث ابن سينا عن مركبات كثيرة تستخدم كمسوداتٍ للشعر، ويبين أنه بتغيير نسب تلك المواد يمكن الحصول على لونٍ للشعر يتراوح بين الأسود والأشقر.

فصلٌ في المشقّرات وما يجري مجراها:

هناك كثيرٌ من المواد المستخدمة لتقشير الشعر ذكرها ابن سينا في هذا الفصل. من أهم تلك المواد: سيالة القصب النبطي(٢٢) الطري، المأخوذ عنه قشره، بعد أن يعالج في النار، صدأ الحديد المعالج بماء الزاج. ويشير أيضًا إلى الاختضاب بالحناء بعد أن يعجن بطبيخ الكُنْدُس(٢٣)، وكذلك الاختضاب بالشبّ(٢٤) والزعفران(٢٥)، أو بالمرّ(٢٦)، حيث يترك يومًا وليلة. ومن المشقرات القوية طبيخ السعد(٢٧) والكندس في الماء.

فصلٌ في المبيّضات:

تستخدم لهذه الغاية مواد كثيرة منها: النسرين(٢٨)، والماش(٢٩)، وقشور الفجل، ومرارة الثور، وبخار الكبريت، وفقاح الزيتون. ويستخدم أيضًا مزيج يتكون من بزر الراسن(٣٠)، وقشر الفجل اليابس، والشبّ ممزوجة مع الصمغ العربي.

فصل في علاج الحزاز:

يعرف ابن سينا الحزاز المتكون في الرأس بقوله: «هو ضرب ما من التقشر الخفيف، يعرض للرأس؛ لفساد عرض في مزاجه، خاصّ التأثير في السطح الأعلى من الجلد، وأردؤه ما بلغ إلى التقرّح وإلى إفساد منابت الشعر».

يشير ابن سينا في علاج الحزاز إلى أن الحزاز الخفيف يكفيه العلاج الخفيف، وهو طلي الرأس بدهن الورد (٣١) والبنفسج(٣٢). أما الرديء جدًّا فيعالج بتنقية البدن بالفصد والإسهال عند الحاجة، ثم توضع الأدوية الخاصة بالحزاز الرديء، وهي كثيرة، منها القيموليا(٣٣) المعجون بمرارة البقر، حيث يستعمل ويترك ساعتين، أو حب البان(٣٤) ودقيق الباقلا(٣٥)، حيث يطبخان بماء، ويغسل به الرأس.

المقالة الثانية في أحوال الجلد من جهة اللون

فصل في الأشياء المحسنة لِلّون بالتبريق والتحمير والجلاء اللطيف:

يشير ابن سينا في بداية هذا الفصل إلى حقيقة فيزيولوجية، تعطي الجلد لونه الطبيعي ورونقه، حيث يقول: «اعلم أنه كلما تحرك الدم والروح إلى الجلد فإنه يكسوه رونقًا ونقاء وحمرة، ويعينه ما يجلو جلاءً خفيفًا، فيجعل الجلد أرق، ويكشط عنه ما مات على وجهه كشطًا خفيفًا، إن كان فيه صبغ خاصة، ويحتاج مع هذا كله إلى استتار عن الحرّ والبرد والرياح».

بعد ذلك يتحدث ابن سينا عن بعض الأغذية التي تحسّن لون الجلد عن طريق توليد الدم؛ فهو يشير إلى تناول الحمص، والبيض، وماء اللحم، وشراب الريحان، وأخيرًا التين. والتين يستخدم خاصةً لمن سمج لونه من الناقهين؛ لكي يعود إلى لونه القديم. ثم يذكر ابن سينا أن بعض المواد تساعد على نشر الدم إلى الجلد فيحسن لونه، من هذه المواد الحِلْتيت(٣٦)، والفلفل، والسعد، والقرنفل، والزعفران، والزوفا(٣٧)، وقد ذكر من البقول الفجل، والكُرّاث(٣٨)، والبصل، والكرنب، وإدمان أكل الثوم.

فصل في حفظ الجلد عن الشمس والريح والبرد:

يقول في ذلك إنه يجب أن يطلى ببياض البيض أو بماء الصمغ، أو يؤخذ السميد المنقوع في الماء المصفّى ويخلط بمثله بياض البيض، ويمسح به وجهه.

فصلٌ في آثار القروح والجدري:

من الأدوية المذكورة هنا يشير ابن سينا إلى شحم الحمار، أو عصارة أصول القصب الرطب مع شيءٍ من العسل والحَبَق(٣٩)، مع ملح العجين معجونًا بعسل النحل، وبطبيخ الفاشِرَا(٤٠) في الزيت حتى يغلظ.

فصلٌ في الدم المِيت والبرش والنمش والكلف:

يعرف ابن سينا هذه المصطلحات بقوله: النمش والدم الميت قد يكون [كدمٌ] قد انفتح عنه فوهة عرق ليفي، أو انصداع لضربة أو غيرها، فاحتقن تحت أعلى الجلد احتقانًا في موضعٍ يتأدى لونه وشكله منه، فما هو إلى الحمرة يكون نمشًا، وما هو إلى السواد يكون برشًا، واللطخي منه يسمى كلفًا.

لعلاج هذه الحالات يشير ابن سينا إلى أن الدم الميت والبرش يمكن استخراجهما جراحيًّا، وذلك بطرف مبضع ينحي الجلدة الرقيقة تنحيةً غير مقرحة عنها، يتم استخراج الدم الميت أو البرش. بعد ذلك يذكر أدوية كثيرة، أكثرها مركبة، تستخدم في هذا المجال، منها شياف المرو(٤١)، والشياف الوردي، وماء الحلبة، والتين المنقوع في الخل الحامض، ومن هذه المركبات أيضًا القُسْط(٤٢) مع الدار صيني(٤٣)، حيث يعجنان بماء الزردج، ويطلى بهما الجلد.

فصلٌ في الوشم وعلاجه:

يبين ابن سينا أن خير وسيلة لإزالة الوشم غسل الموضع بالنطرون(٤٤)، ثم يوضع عليه علك البُطم(٤٥) أسبوعًا، ويشدّ ثم يحلّ، ويدلك بالملح دلكًا جيّدًا، ويُعاد عليه علك البطم إلى أن ينقلع ومعه سواد الوشم، فإن لم تنجع أمثال ذلك لم يكن بدّ من تتبّع مغارز إبر الوشم، لوضع نقط البَلاذُر(٤٦)؛ ليقرحها ويأكلها.

المقالة الثالثة : فيما يعرض للجلد لا في لونه

فصلٌ في الشقوق التي تظهر على الجلد والشفة والأطراف وجلد البدن في كلّ موضع:

في البداية يبين ابن سينا أن سبب جميع الشقوق اليبس في الجلدة حتى تتشقق. ولعلاج هذه الحالات يشير ابن سينا إلى شرب الأدهان، دهن السمسم المقشر خاصة. وإن كان التشقق ناجماً عن البرد، فينفع منه الأقاقيا(٤٧)، وطبيخ السلجم، وورق السلق وطبيخه.

فصلٌ في علاج شقوق الشفة:

سببه اليبس الناجم عن الريح أو البرد. ويتم منعه بأن يُطلى قبل التعرض لسببه بالقيروطيات(٤٨)، والشحوم، ودهن الورد مع الزوفا(٤٩). وقد قيل إن تدهين السرة عند النوم، أو إيداع قطنة مغموسة في الدهن صماخ السرة نافعٌ جدًا.

فصلٌ في علاج شقوق الرجل:

يمكن أن يزال التشقق بإدامة وضع الرجل في الماء الحار، وتمريخها بالأدهان والشحوم، وبشحم الماعز والبقر خاصة، كما قد يفيد القطران مع طحين السمسم.

فصلٌ في علاج فساد الرائحة للجلد عامّا:

هنا ينصح ابن سينا بتنظيف الجسم في الحمام، وتناول ما له تعطير العرق على الريق، مثل السليخة(٥٠)، والفلنجة(٥١)، والكَرفْس(٥٢)، والحَرْشَف(٥٣)، والهليون(٥٤)، وكل مدرٍ للبول. كما ينفع أيضًا شرب نقيع المشمش الطيب الريح. كذلك يطلى على البدن ما يسدّ المنافس، ويمنع العرق، مثل المرداسنج، والشبّ، والمرّ، والصبر، ودهن الآس، ودهن الورد.

فصلٌ في الصنان وعلاجه:

يبين ابن سينا أن قومًا زعموا أن الصنان من بقايا آثار المني المتخلق عنه الإنسان، وقد وقعت إلى نواحي الإبط، ونفذت في مسام الجلد، وهذا ليس مما يجب أن يعتمد؛ ولأن ينسب إلى بخار المادة التي تستحيل منيًّا في الإنسان، وإلى تحركه فيه أولى. يذكر ابن سينا لعلاج الصنان عدة علاجات، منها التوتيا، والمرداسنج المربى، والقليميات، ورماد الآس، وماء حل فيه الشب والكافور.

المقالة الرابعة في أحوالٍ تتعلق بالبدن والأطراف وهي تمام كتاب الزينة

فصلٌ في إزالة الهزال:

يعتقد ابن سينا أن سبب الهزال إما لعدم مادة السمن من الغذاء، وإما لكثرة استعمال الغذاء الملطف، فلا يتولد في البدن دمٌ كثير، وإما بسبب سكون كثير تنام معه قوة الجذب.

أما في علاج الهزال فيجب النظر إلى السبب ثم علاجه، فإذا كان الغذاء غير مولدٍ لدمٍ غليظ قويّ جعل ما يولده، وإذا كانت القوة الجاذبة في الأعضاء كسلى حركت وقويت، ونظر إلى سوء مزاج إن كان فبدل، وكذلك الدلك مع الانتباه من النوم.

ومن المسمنات كما يشير ابن سينا تناول الشراب الغليظ، والأطعمة الجيدة الكيموس القوية المتينة، إذا انهضم مثل الهرائس والمشوي من اللحوم، كلحم البط ولحم الدجاج.

ومن المسمنات ما يتعلق بالرياضة، وهو كل رياضة لينة بطيئة.

ومن المسمنات لطوخات تستعمل بعد تحريكات الأعضاء وتحميراتها، مثل الزفت وحده، إن كان شديد السيلان، أو مذابًا في دهن بقدر ما يسيله للطخ.

يذكر ابن سينا بعد ذلك عددًا كبيرًا من الأدوية المركبة، تستخدم لهذا الغرض، أكثرها مشتقٌ من المنتجات الحيوانية والنباتية.

فصلٌ في تسمين عضو عضو كاليد أو الرجل أو الشفة أو الأنف:

يتم ذلك بجذب الغذاء إلى ذلك العضو وحبسه عليه

وتحويله إلى طبعه، وذلك بالدلك المحمر بالخشونة وبالأدوية المحمرة، ثم بالدلك الذي هو أقوى، ويصب الماء الفاتر، ثم يطلى الزفت.

يشير ابن سينا في نهاية الفصل إلى الجراحة كوسيلة لتسمين الشفة والأنف والأذن، قائلاً: «فإذا كانت الشفة والأنف ناقصين فيجب أن يبط(٥٥) الوسط ويكشط الجلد عن الجانبين، ويقطع اللحم الذي في الوسط، ما صلب منه، فيطول ويزول التقلص».

فصلٌ في عيوب السمن المفرط:

إن السمن المفرط قيدٌ للبدن عن الحركة والنهوض والتصرف، ضاغطًا للعروق ضغطًا مضيقًا لها، فينسد على الروح مجاله، وكذلك لا يصل إليهم نسيم الهواء، فيفسد بذلك مزاج روحهم، ويحدث بهم ضيق نفسٍ وخفقان، وهؤلاء معرّضون للموت فجأةً وللسكتة والفالج. وهم لا يصبرون على جوع ولا على عطش بسبب ضيق منافذ الروح، وشدة برد المزاج، وقلة الدم، وكثرة البلغم.

فصلٌ في التهزيل:

يشير ابن سينا هنا إلى أن تدبير الهزال ضد تدبير التسمين، وهو تقليل الغذاء وتعقيبه الحمام والرياضة الشديدة، وليكن خبزهم خبز الشعير، وتكثير التوابل الحارة في طبيخهم، ومما يعين على تقليل غذائهم أن يُجعل غذاؤهم دسمًا جدًّا؛ ليشبع بسرعة، وتبديل الماء البارد إلى الحار، والهواء البارد إلى الحار، والتكشف دائمًا للبرد؛ لتنقبض المسام وتنسد، ويتعرض البدن للقشعريرة، فلا يقبل الغذاء. ومن الأدوية المفيدة في التهزيل: الجنطيانا(٥٦)، وبزر السذاب(٥٧)، والزراوند المدحرج(٥٨)، والفطر أساليوس(٥٩)، وبزر الكرفس، والزاج، إلاّ أن الأخير قويٌّ جدًّا وخطر.

فصلٌ في تهزيل أعضاء جزئية مثل الثدي والخصية واليد والرجل ونحو ذلك:

يقول ابن سينا إنه استخدم هنا الطرق نفسها المستخدمة في التهزيل المطلق. ومن الأطلية التي تمنع الخصى من الكبر والأثداء عن العظم كثرة الطلاء بالشبّ كل يومٍ، أو أن يؤخذ طين جزء وعفص أخضر، فيسحقان ويطليان بالعسل يومًا، ثم يغسل بالماء البارد، فيفعل ذلك في الشهر ثلاث مرات. ويخص بالثدي أن يشدّ عليه كمونًا مسحوقًا معجونًا بالخل، يضمّد به الثدي، ويترك عليه خرقًا مبلولة بالخل ثلاثة أيام، ثم يحل، ويتبع ببصل السوسن الأبيض(٦٠)، ويشدّ، ولا يحل ثلاثة أيام أخر، يفعل ذلك في الشهر ثلاث مرات.

علل الأظافر

فصلٌ في علاج الداحس:

يعرف ابن سينا الداحس بقوله: هو ورمٌ حارّ خرّاجي، يعرض في جانب الظفر، وهو صعبٌ شديد الإيلام، وهو يتقرح ويؤدي إلى التآكل، وربما سال من متقرحه مدّة رقيقة منتنة، ويكون في ذلك خطرٌ للإصبع، وكثيرًا ما تحدث الحمى.

لعلاج هذه الحالة تغمس الإصبع في الخلّ الحار، أو يستخدم المرهم الكافوري المتخذ من الكافور. كما يشير ابن سينا إلى مركباتٍ عديدة تستخدم لعلاج الداحس، مثل أن يؤخذ قشور الرمان الحامض والعفص وتوبال النحاس وزنجاره، ويخلط بالعسل، ويلطخ، ويشدّ، ولا يمس الموضع ماء ولا دهن.

فصلٌ في تشقّق الأظافر وتقشرها:

قد تعرض هذه الأعراض بسبب يبس ومزاج سوداوي. وأما علاجه فيشير ابن سينا إلى أنه لا بدّ فيه من تنقية البدن بالاستفراغ للخلط السوداوي إذا كان غالبًا، إضافة إلى لأدوية الموضعية مثل الخل، وكذلك المصطكى.

فصلٌ في حيل قلع الظفر الرديء في هيئته وفي لونه وسائر عيوبه لينبت بدله ظفرٌ جيد:

ينصح ابن سينا بأن يؤخذ صمغ السرو ويضمد به الظفر الخبيث الموجع أيامًا، ثم يغرز

أصله بإبرة، ويسيل منه دمٌ كثير، ثم يُشدّ عليه ثومٌ مدقوق يومًا وليلة، ثم يجدّد عليه الثوم في اليوم والليلة مرتين، فإنه يسقط. وإدامة تضميده أيضًا بالزبيب ربما هيّأه للسقوط بأدنى تدبير، وذلك إذا خلط به الجاوشير(٦١). أو باستخدام الكبريت والمسحوق بشحم. ومن الأدوية القوية لقلع الظفر الكبيكج(٦٢).

فصلٌ في الصفرة التي تعرض للأظافر:

يطلى بالعفص والشبّ وبشحم البطّ أو بمرارة البقر أو بزر الجرجير مدقوقًا ناعمًا معجونًا بخلّ.

فصلٌ في موت الدم تحت الظفر عن رضّة وقعت:

يعالج بدقيقٍ مخلوط بزفت، يضمد به، وإن لم يغن، بل احتيج إلى عمل اليد، فيجب أن يشق الظفر بالرفق شقًّا متوربًا بآلة حادة حتى يخرج الدم تحته، فإن عرض من ذلك أن انقلع الظفر أسلت الدم، وألصقت الظفر على ما تحته بالرفق؛ ليكون وقاية ولا يوجع، ثم يراعى بعد ذلك أياماً.

هذه لمحة موجزة عن أدوية الزينة كما وردت في كتاب (القانون في الطب) لابن سينا، علمًا أن هناك كثيرًا من المؤلفات الطبية التي كتبها الأطباء المسلمون الأوائل تضمنت الكثير من أدوية الزينة أيضًا.

إن دراسة تلك الأدوية ومعرفة مدى تأثيرها وفق المعايير الطبية الحديثة يعدّ من الأمور التي علينا أن نشجع بها طلاب الدراسات العليا في كليات الطب والصيدلة في الجامعات العربية والإسلامية، وذلك للوقوف على حقائق أدق فيما يتعلق بمدى فائدة تلك الأدوية النباتية أو العشبية منها خاصة، ومن ثمّ إمكان استعمال بعضها لبعض أغراض الزينة في وقتنا الراهن، حيث إننا نعيش اليوم صحوة عالمية باتجاه استخدام العناصر الفعّالة الموجودة في النباتات الطبية، وذلك لمعالجة العديد من الأمراض المستعصية منها على العلاجات الكيماوية الحديثة خاصة.

لقد بدأ الغرب مؤخرًا يتنبه إلى هذا الأمر، فأنشئت المعاهد والمراكز المتخصصة لدراسة تأثير النباتات الطبية في الأمراض المختلفة، ورصدت الميزانيات من أجل ذلك، بل لقد أوفدوا بعض علمائهم إلى بعض الدول الغنية بمثل هذه النباتات، من أجل إجراء عمليات مسح للنباتات الطبية، التي تنمو في تلك البقاع، وذلك لدراستها واستخراج عناصرها الفعالة.

وتقدر دوائر منظمة الصحة العالمية أن الأعشاب الطبية تستخدم كعلاجٍ أوليّ لكثير من الحالات المرضية لدى أربعة مليارات شخص، أو ما يعادل ٨٠٪ من سكان العالم. لذلك فقد شكلت مؤخرًا عدة لجانٍ تضم خبراء في هذا المجال؛ لدراسة مستقبل طب الأعشاب العلاجي وتقويمه.

وهذا الاهتمام من قبل منظمة الصحة العالمية نبع من واقع وليس من تكهّن، وذلك بعد أن أثبتت الأبحاث العلمية أن كثيرًا من هذه الأعشاب يحوي مركبات علاجية مهمة، كثيرًا ما يصعب تركيبها مخبريًّا، إضافة إلى أن كثيرًا من المركبات العلاجية الكيميائية قد ثبت يومًا بعد يوم أضرارها الجسيمة بعد استخدامها المديد، التي قد تصل أحيانًا إلى حدّ الخطورة.

إننا نشهد اليوم رغبة حقيقية في إحياء الطب الإسلامي في مجال العلاج بالنباتات أو الأعشاب الطبية، وهذه الرغبة تترجم إلى محاولاتٍ تتم على قدمٍ وساق في العديد من مراكز الأبحاث في بلدان العالم. وتراثنا الطبي الإسلامي زاخرٌ بتلك العلاجات، ولدينا كنزٌ ثمين ومعين لا ينضب في مجال العلاج بالأعشاب، إنما يتطلب هذا منا وضع تلك العلاجات موضع الدراسة والتمحيص، وإعادة تقييم فعاليتها من جديد، وفق المعايير العلمية الحديثة والمتطورة، وذلك من أجل استخدامها في كثيرٍ من الأمراض تلك التي عجز الطب الحديث حتى الآن عن تقديم علاجٍ ناجعٍ لها. ●

الحواشي

ملاحظة : إن شرح كل الأدوية المذكورة في البحث والتعليق عليها مقتبسٌ من كتاب (المعتمد في الأدوية المفردة)، ليوسف بن عمر بن علي الغساني التركماني.

١ – لاذن : هو شيء من رطوبة، يدبق بيد اللامس، يكون على شجرة القيسوس، يصفى ويعمل منه أقراصًا.

٢ – أمْلَج : ثمرة سوداء تشبه عيون البقر، وهو من الأدوية القلبية، وينفع الذهن والحفظ.

٣ – هليلج : هو أربعة أصناف الأصفر والأسود والكابلي والصيني. له استخدامات طبية متعددة.

٤ – دهن المصطكى : يستخرج من شجرة المصطكى، ينفع في نفث الدم والسعال المزمن إذا شرب. يسمى أيضًا علك الروم.

٥ – دهن الشيرج : دهنٌ يستخرج من طحن السمسم وعجنه بالماء الحار، ينفع في الشقاق والخشونة وضيق النفس.

٦ – بزر الجرجير : نباتٌ يكثر وجوده في الإسكندرية، يسمونه بقلة عائشة. وهو يقوي الجنس، ويدر البول، ويهضم الطعام.

٧ – نورة : هي حجر الكلس، وتطلق غالبًا على أخلاطٍ من أملاح وزرنيخ، وهي مزيلٌ قويٌ للشعر.

٨ – بنج : من الأدوية المبردة، يخلط بسائر الضمادات المسكنة للوجع. وهو ثلاثة أصناف: أحمر وأبيض وأسود.

٩ – شوكران : نباتٌ ثقيل الرائحة، له قوة مبردة، وهو من الأدوية القتّالة. إذا ضمد به الثديان منع اللبن، ومنع ثدي الأبكار من أن تعظم. وإذا طلي به على موضع الشعر يمنع نباته.

١٠ – حلبة : حب أصفر اللون غير مدور، من الأدوية الحارّة، يسكن السعال والربو، وينفع في البواسير. كما تزيد في الباءة، وتشهي الطعام.

١١ – سدر : هو ورق شجر النبق، وهو معتدل فيه قبض، ينقي الأمعاء والبشرة ويقويها، وهو مجفف للشعر يمنع من انتثاره.

١٢ – مرو : هو نباتٌ يرتفع عن الأرض بمقدار شبر، طعمه مرّ، وهو ينضج الأورام الصلبة والدمامل والخراجات.

١٣ – عفص : هو ثمرة شجرة البلوط، وهو مقوٍ للأعضاء، ويستخدم لعلاج قروح الأمعاء والإسهال.

١٤ – مرداسنج : دواءٌ يعمل من الرصاص أو الفضة، وهو دواءٌ مجفّف، وينفع في حروق النار، وفي الشقاق المزمن.

١٥ – بورق : دواءٌ حارّ، ينفع من السموم، ويسكّن المغص، وينفع في الحكّة والبرص.

١٦ – قطران : يسيل من شجرة الشربين، وهو دواءٌ حارّ يابس، يستخدم في بعض حالات الصداع، ومن قروح الرئة والصدر.

١٧ – دهن القُسْط : دهنٌ يستخدم لعلاج وجع الكبد والمعدة، ويشدّ العصب ويقويه.

١٨ – دهن البان : دهنٌ يستخدم لتصفية الآثار من الوجه والثآليل والآثار السود الباقية بعد اندمال القروح. كما أنه يسهّل البطن، ويفيد في وجع الأذان وطنينها.

١٩ – دهن الشَوْنيز : دهنٌ يفتح السدد الكائنة في أغشية الدماغ وفي بطونه، ينفع في الفالج واللقوة والخدر والرعشة والكزاز.

٢٠ – حِنّاء : شجرةٌ كبيرة مثل شجرة السدر، رائحتها ذكية، ويستخدم منها ورقها لعلاج الأورام الملتهبة، وفي مداواة الحمرة والقلاع. ويستخدم زهرها لتسكين الصداع.

٢١ – وسمة : هي ورق النيل، وهي حارّةٌ قابضة تصبغ الشعر. وإذا فرك ورقه باليد سودها. تفيد أيضًا في دمل الجراحات.

٢٢ – كان القصب يستخدم لغاياتٍ عديدة، فإذا تضمد به مع الخل سكن وجع الأعصاب ووجع الصلب، وإذا دقّ ورقه وهو طريّ ووضع على الحمرة وعلى الأورام أبرأها، والندى الذي ينزل على القصب ينفع من بياض العين.

٢٣ – كندس : هو عروق نبات، داخله أصفر، وخارجه أسود. وهو دواءٌ شديد الحرارة، ومقيىء، وكان يستخدم لعلاج البهاق والبرص، وإجهاض الجنين الميت.

٢٤ – شب : له أصناف كثيرة، إلا أن ما كان يستعمل منها في الطب ثلاثة أنواع. تستعمل لجلو غشاوة البصر، وقلع البثور اللبنية، وإزالة اللحم الزائد في الجفون، وقد تمنع القروح الخبيثة من الانتشار.

٢٥ – زعفران : نباتٌ له عدة أسماء، منها الجادي والجاد والريهقان والكركم. وهو مصلح للعفونة ومدرّ للبول، وينفع من الأورام الحارة العارضة للأذن. كما أنه مقلّل لشهوة الطعام.

٢٦ – مر : هو صمغ شجرةٍ تكون ببلاد العرب. يقتل الديدان والأجنة ويخرجها، ويشرب لعلاج السعال القديم، ويلين فم الرحم المنضم ويفتحه.

٢٧ – سعد : نباتٌ خشن طيّب الرائحة، ينفع من القروح التي عسر اندمالها، مثل قروح الرحم، ويفتت الحصاة ويدر البول، وهو مفيدٌ للبواسير، جيد للبخر والعفن في الفم والأنف، نافعٌ للأسنان واسترخاء اللثة، ويزيد في الحفظ.

٢٨ – نسرين : وردٌ أبيض، زهره يدر الطمث، ويقتل الأجنة ويخرجها، ويصلح لعلاج الأورام الحارة، لا سيّما التي تكون في الرحم. ويستخدم أيضًا كمسهل، ويسكّن الصداع، ويقتل الديدان في الأذن، وينفع من الطنين والدوي، ومن وجع الأسنان.

٢٩ – ماش : هو حبٌ صغير يشبه الكرسنة الكبيرة، وهو طيّب الطعم، ينقص الباءة، وهو نافعٌ للمحمومين ولمن كان به سعال، وهو مليّنٌ أيضًا.

٣٠ – راسن : نباتٌ طيب الرائحة، يدر البول والطمث، تستخدم

ضماداته لعلاج عرق النسا وآلام المفاصل، ينفع من جميع الأورام والأوجاع الباردة، ويهضم الطعام.

٣١ – دهن الورد : كان يستخدم لغاياتٍ عديدة، فهو يسهّل البطن إذا شرب، ويبني اللحم في القروح العميقة، ويدهن به الرأس للصداع في ابتدائه، ويتمضمض به لوجع الأسنان، وكان يطلى به بدن صاحب الحكة فيسكنها.

٣٢ – دهن البنفسج : يبرد ويرطب وينوم ويعدّل الحرارة، ينفع من انتثار شعر اللحية والرأس وتقصفه، كما يفيد من ضيق النفس، وهو مليّن من صلابة المفاصل، ويسهل حركتها.

٣٣ – قيموليا : هو الطين الطليطلي، ينفع من جميع الأورام الحارة طلاء عليها، كما ينفع في حرق النار، ومن القروح العسرة الاندمال.

٣٤ – حب البان : أجود حبه الكبار العطر، قشره قابض، وهو يجلو ويقطع التآليل والكلف، وينفع الأورام الصلبة إذا جعل في المرهم.

٣٥ – باقلا : ينفع ضماداً لمن به ورمٌ في الثديين، لا سيّما إذا كان ورم الثديين من تجبن اللبن فيهما، فإن هذا الضماد يقطع اللبن، وإذا ضمدت عانة الصبيان به أبطأ نبات الشعر فيها، كما أنه يجلو من الوجه البهق.

٣٦ – حلتيت : هو صمغ الأنجذان، له قوة تجذب جذباً بليغاً، وينقص اللحم ويذيبه، ينفع في أورام اللهاة، ويوضع في التآكل العارض في الأسنان، فيسكن وجعها.

٣٧ – زوفا : حشيشة رائحتها طيبة وطعمها مرّ، تنفع من أورام الرئة الحارة، ومن الربو، والسعال المزمن، وسحج الأمعاء، والفالج.

٣٨ – كراث : نوعٌ من البقول، يؤكل أصله دون فرعه. يعرض منه أحلامٌ رديئة، ويدر البول، ويلين البطن، ويحدث غشاوة في العين.

٣٩ – حبق : هو الفوذنج بالفارسية، أو الصعتر بلغة أهل الشام. يدر الطمث، ويخرج الأجنة، وإذا استحم بطبيخه سكن الحكة والجرب.

٤٠ – فاشرا : هو الكرمة البيضاء. يجلو ظاهر البدن ويصفيه، يذهب بالكلف والآثار السود، ويقلع الثآليل، ويخرج العظام الفاسدة.

٤١ – مرو : حشيشة، زهرها أغبر، يميل إلى الخضرة، تقوي المعدة، وتفتح سدد الأحشاء، وتنضج الأورام الصلبة والدمامل والخراجات، نافعة في أوجاع الرحم والنساء الحوامل.

٤٢ – قسط : هو دواءٌ حبشيّ معروف، ينفع من استرخاء الأعصاب، ويقوي الكبد والقلب، وينفع من الفالج وأوجاع المفاصل والأوراك وعرق النسا شرباً وطلاء بماء الصبر.

٤٣ – دار صيني : خشبٌ معروف، أصنافه كثيرة، أجوده الأسود طيّب الرائحة، الحادّ المذاق، ينفع من السعال والربو، ويحفظ على الإنسان قوته أيام حياته، ويذكي الذهن.

٤٤ – نطرون : يسمى أيضاً البورق الأرمني، ألوانه مختلفة، أجوده الذي يجلب من نواحي مصر، يسكّن المغص إذا سحق بزيت، ويدخل في أدوية القولنج، وهو رديء للقلب والصدر.

٤٥ – بطم : هي شجرة الحبة الخضراء، تدر البول، وتنفع الطحال، وتدر الطمث.

٤٦ – بلاذر : ثمرةٌ سوداء تشبه نواة التمر هندي، تنفع من اللقوة والفالج واسترخاء الأعصاب والنسيان وذهاب الحفظ.

٤٧ – أقاقيا : هو عصارة القرظ، وهو نباتٌ لطيف لذّاع، ينفع من سيلان الدم إذا شرب، وينفع من قروح اللثة، ومن السحج، ومن الداحس.

٤٨ – قيروطي : مرهمٌ يصنع من الشمع والزيت، يضمد به الجرح والكسور، وقد يخلط الشمع بدهن الورد أو نحوه.

٤٩ – زوفا : هو حشيشٌ منه جبلي ومنه بستاني، ينفع الصدر والرئة والربو والسعال المزمن، بخار طبيخه مع التين ينفع من دويّ الأذن.

٥٠ – سليخة : نباتٌ له ساقٌ غليظ القشر، يلذع اللسان ويقبضه، عطر الرائحة، ينفع من أوجاع الكلى والمثانة، ويدرّ البول.

٥١ – فلنجة : نوعٌ من الحبوب، أجودها الحديث الكبار، مقوية للمعدة والكبد، وتزيد في الباءة.

٥٢ – كرفس : صنفٌ من البقول المعروفة، أجوده البري الطري، ينفع الكبد والطحال، ويضر بالحبالى والمصروعين.

٥٣ – حرشف : نباتٌ ليس له ساق، ماؤه يقتل القمل إذا غسل به الرأس، ويزيل نتن الإبط، ويزيد في الباءة، ويخرج البلغم.

٥٤ – هليون : أغصانٌ غضّة مائلة إلى الخضرة، ينفع من وجع الظهر، ويزيد في المني وشهوة الباءة، وينفع من أوجاع الوركين وعرق النسا والفالج والنقرس.

٥٥ – البط هو الشق.

٥٦ – جُنْطيانا : نباتٌ أحمر اللون، مجوّف الساق، ينبت في الجبال، ينفع من سدد الكبد والطحال والتواء الأعصاب، وينفع من عرق النسا والأمراض السوداوية.

٥٧ – سَذاب : من الحشائش المعروفة، حاد الرائحة، ينفع من الفالج وعرق النسا، وينفع من الجذام، ويقطع دم الحيض وشهوة الطعام.

٥٨ – زرَاوَند : نباتٌ طيّب الرائحة، ينفع من الحميات ولسع العقارب، وهو نافعٌ للأخلاط البلغمية والمرارية والنقرس.

٥٩ – فطر اسالينوس : هو بزر الكرفس الجبلي، ينفع الكبد والطحال وضيق النفس، ويدر البول والطمث.

٦٠ – سَوْسَن أبيض : هو الزنبق، ينفع من الكلف والنمش، يغسل به الوجه فيصقله، وينفع من وجع الطحال ونفس الانتصاب.

٦١ – جاوْشير : صمغ شجرةٍ ورقها خشن، شبيهٌ بورق السلق، يفيد في أوجاع الجنب والمغص والسعال، ويخرج الجنين، ويدر الطمث، ويضمد به عرق النسا، ويحلّل أوجاع المفاصل.

٦٢ – كَبيكَج : يسمى كفّ السبع، ينفع من الجرب وداء الثعلب والثآليل، ضرره شديد، وهو من السموم القاتلة.